﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٦﴾ [يس: 76]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

عنايةُ الله تعالى بنبيِّه ﷺ دليلُ محبَّتِه لهُ

لمّا أخبر الله تعالى أنَّ الكافرين اتَّخذوا من دونِ الله آلهةً رجاءَ نصرتِهم، وكان فيه إيماءٌ إلى قولِهم الكفرَ ومجاهرتِهم به؛ حذَّر رسولَه ﷺ من أن تُحْزِنَهُ أقوالُهم؛ لأنَّهم قالوا في شأنِ الله تعالى ما هو أعظمُ وأشنع، فقال تعالى: ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ﴾ الآيةَ.

ومن أوجهِ المناسبة بين الآيتين: أنَّ الله تعالى لمّا بيَّن ما بيَّن من قدرتِهِ الباهرة، وعظمته الظّاهرةِ، ووهَّنَ أمرَ الكافرين في الدُّنيا والآخرة، وكان قد تقدَّمَ ما لوَّح إلى أنَّهم نسبوا رسولَ الله ﷺ إلى الشِّعر في قولِه: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ﴾ [يس: 69]، وكذَّبوه، واستهزؤوا بالوعدِ الذي بلَّغهم به، وصرَّحوا بكفرِهم، وأعلَوا شأنَ آلهتِهم، قال تعالى مسلّيًا رسولَهُ ﷺ: ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ﴾ الآيةَ[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عزاءٌ كريمٌ للنَّبيِّ الكريم من ربٍّ كريمٍ

يقول سبحانه: فلا يَحزُنْك - أيُّها الرَّسولُ الكريمُ - قولُ هؤلاءِ المُشركينَ لك: إنَّك شاعِرٌ، ومجنونٌ، وكاهِنٌ، إلى غيرِ ذلك ممّا يَقْدَحون به في نُبوَّتِك، ولا يَحزنك كُفْرُهم باللهِ وباليَومِ الآخِرِ، وتكذيبُهم بآياتِ اللهِ، فإنَّ الله سبحانه يعلم ما يُسِرّون وما يعلنون من كفرٍ وضلالٍ وبهتانٍ، وهو سُبْحانه محاسِبُهم ومجازيهم عليه[2].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 176.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 485، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 57، والخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 12/ 955.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الفاء في ﴿فَلَا يَحْزُنكَ﴾:

النَّهيُ عن الحُزنِ بسببِ الكلامِ الباطِلِ

الفاءُ في قوله: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ تفريعيَّةٌ، فهي تُفيد ترتُّبَ النَّهي عن الحزنِ مِن قولِهم على ما قبلَهُ، أي: إذا كان ذلك حالهم مع اللّه تعالى، ووصلوا إلى هذا الحدِّ من الإشراكِ بأنِ اتَّخذوا من دون اللّهِ آلهةً؛ فلا تحزن عليهم بسببِ قولِهم على اللّه سبحانه: إنَّ له شركاءَ - تعالى اللّه عن ذلك علوًّا كبيرًا - وقولِهم عليك: شاعرٌ ونحو ذلك ممّا لا يليق بشأنِك.

ويجوزُ أن تكونَ الفاءُ فصيحةً؛ لإفصاحها عن شرطٍ مقدَّرٍ مِن السّياق، والمعنى: إذا سمعتَ قولَهم في اللّه تعالى: إنَّ لهُ شريكًا وولدًا، وفيكَ: إنَّكَ كاذبٌ أو شاعرٌ؛ فلا تحزن من قولِهم[1]، ومآل المعنيينِ واحدٌ.

سببُ إيثار التَّفريع بالفاء:

الكفّارُ أحقَرُ مِن أن يُحزَنَ بسببِ أقوالِهم

لمّا كانتِ الفاء مفيدةً تعليقَ النَّهي عن حزنِه ﷺ من أقوالِهم على ما قبله؛ أفاد خسرانَهم وخيبتَهم في جميع أقوالِهم الَّتي أشركوا بها، وآذوا بها رسولَ اللّه ﷺ؛ ليفيد بلازمِه أنَّهم لا يستحقّون أن يُحزنَ مِن أقوالِهم؛ تهوينًا للخَطْبِ وتسليةً لرسول اللّه ﷺ.

دلالةُ قوله: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ﴾:

قد يُرادُ بالحزنِ ما يكون في الحال أو الاستقبالِ إذا اقترن بأسبابِه

لمّا كان الحُزنُ هو الخشونةَ التي تكون في النَّفس لِما يحصل فيها من الغمِّ[2]؛ نهى اللّه تعالى رسولَه ﷺ عن الحُزن في قولِه: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ﴾؛ للإيماء إلى ما كان يشعُرُ به رسول اللّه ﷺ من الألم والشِّدة من قولِهم، ولمّا تعلَّق النَّهيُ عن الحزن بقول الكافرين، وكان

(1) الشّهاب الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 252، وإسماعيل حقّي، روح البيان: 7/ 434، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 192، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 55.
(2) الراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (حزن).

النَّهيُ على معنى الحال والاستقبال؛ أفادَ أنَّ الكافرين مستمرّونَ على مقالتِهم التي تؤذي رسولَ الله ﷺ والمؤمنين، كما أفاد أنَّ الحزنَ لا يُقصد به فواتُ شيءٍ في الماضي، بل يكون في الحال والمستقبل؛ إذا اقترن بأسبابِه.

بلاغةُ الكناية:

النهي عن الاكتراثِ بأذى الكافرين والالتفات إليه

أُسْنِدَ النَّهيُ عن الحزن إلى قول الكافرين في قول الله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾، وظاهر المعنى: أنَّ الله تعالى نَهَى أن يحزنَ قولُ الكافرين النَّبيَّ ﷺ، فأُسنِدَ الحزن إلى قول الكافرين على سبيل المجاز[1]؛ لقصد المبالغة في شدَّة قولِهم وقسوتِه وما ينطوي عليه من الأذى، فالنَّهيُ في اللَّفظ للقول، وهو في المعنى: عن السَّبب المؤدّي إلى التَّأذّي بقولهم، وما يورِّث الحزنَ واكتسابه؛ لأنَّ الحُزْنَ لا يحصل بالاختيار[2]، فالمرادُ بالنَّهي في قوله: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ لازمُه، وهو نهي النَّبيِّ ﷺ عن أن يَحْزَنَ بسبب قولِهم، ويُنتقل من هذا اللّازم إلى لازمٍ آخر، وهو نهيه ﷺ أن يعبأَ بقولِهم، وأن يكترثَ بأذاهم، وأن يلتَفِتَ إليه، فإنَّ مَن يعبأ بقولِهم، أو يكترثَ به؛ يَحْزَن بسببِه، فالنَّهي في الحقيقة راجعٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، ومجيءُ الكلام بطريقِ الكنايةِ على أبلغِ وجهٍ وآكدِه، فإنَّ النَّهيَ عن أسباب الشَّيءِ ومباديه المؤدّيةِ إليه نهيٌ عنه بالطَّريق البرهانيِّ وإبطالٌ للسَّببيَّة[3]، وفائدةُ إيثار إسناد النَّهي عن الحُزْنِ إلى القولِ ومجيء الكلام بطريقِ الكنايةِ أمران، أحدهما: بيانُ شدَّة قولِهم وقسوتِه وغِلَظِه في نفس رسول الله ﷺ، والآخر: بيانُ سببِ حزنِه ﷺ، فهو مِثْلُ إيراد النَّهي ببيِّنةٍ، فلمّا نهى القولَ عن أن يُحْزِنَ رسول الله ﷺ؛

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 357.

(2) الواحدي، التفسير البسيط: 11/ 251.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 179، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 193، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 72.

كان بمنزلةِ النَّهي عن أسبابِه، ففيه مبالغةٌ في تسلية خليلِ الله ﷺ وعنايةٌ بشأنِه، وذلك دليلٌ على اجتبائِه ﷺ وعظيم منزلتِهِ عند الله تعالى.

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿قَوْلُهُمْ﴾:

مَـنِ اتَّـصـف بـالأوصـاف القبيحة؛ تفوَّه بـالـقـبـيـح من القول

لمّا كان الضَّمير (هُمْ) راجعًا إلى الكافرين بما اتَّصفوا به من كونِهم اتَّخذوا من دونِ اللهِ آلهةً، ونسبتِهم القرآن إلى الشِّعر؛ كان المرادُ بـ ﴿قَوْلُهُمْ﴾ ما تُنبئ عنه هذه الأوصاف القبيحة، فإنَّ منِ اتَّصف بهذه الأوصافِ لا يخلو عن التَّفوُّه بقولِهم: هؤلاءِ آلهتُنا، وأنَّهم شركاءُ لله سبحانه في العبوديَّةِ - تعالى الله عن قولهم - وقولِهم عن نبيِّه ﷺ: شاعر - وحاشاه - وغير ذلك ممَّا يورث الحزنَ[1].

سببُ إيثارِ التَّعبيرِ بالمصدرِ دونَ الجمع:

لا يحزن المؤمنُ للقول النّاشئ عنِ الكُفْرِ

عُبِّرَ بالمصدر مفردًا في قوله: ﴿قَوْلُهُمْ﴾ دون الجمعِ، فلم يَرِد في النَّظم القرآنيِّ: (بأقوالِهم)؛ لما تفيده إضافةُ المصدرِ من معنى العموم، ولمّا حُذِفَ مفعولُ المصدرِ؛ أفاد المبالغةَ في معنى العموم؛ ليعمَّ اللَّفظُ جميعَ الأقوال التي كان يقولها الكافرون لرسول اللَّه ﷺ، فقد كانوا يشركون بالله تعالى، ويصرِّحونَ بشركِهم، ويكذِّبون رسول الله ﷺ، ويهدِّدونه، ويستهزئون به، ويستطيلون عليه ﷺ، ومرَّة قالوا: إنَّه ساحرٌ، وإنَّه كذّابٌ، وإنَّه شاعر، ومرَّة قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: 32]، ومرَّة قالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [الأنعام: 7]، ومرَّةً قالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: 8]، ومرَّة طعنوا فيه وفيما أقامهُ مِنَ الحجج، فمعنى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾، أي: قولُهم في اللهِ تعالى بالإلحاد والشِّرك، أو فيك بالتَّكذيب والتَّهجين[2]، فلمّا كثرت أقوالُهم القبيحةُ، وكانت جميعها

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 179.

(2) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 8/ 539، والبيضاوي، أنوار التّنزيل: 4/ 274.

تُحزِنُ رسولَ الله ﷺ؛ جاء التَّعبيرُ بالمصدر مفردًا لإرادة الجنسِ الشّامل لجميع أقوالِهم، وفيه إشعارٌ بأنَّ أقوالَهم كلَّها شيءٌ واحدٌ، فلا يحزنك قول أكثر من قول آخر؛ إذ الحاملُ عليها كُلِّها الكُفْرُ باللّه تعالى.

دلالةُ الوقفِ على ﴿قَوْلُهُمْ﴾:

أثـرُ الـوقـفِ في بيان المعنى

الوقفُ عند قوله تعالى: ﴿قَوْلُهُمْ﴾ وقف تامٌّ عند جمهور القرّاء[1]، قالَ أَبو جَعْفَرٍ النَّحاسُ: "﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾: تَمَّ الكَلامُ"[2].

وصَرَّحَ بِهَذا السَّجاوِنديُّ في "عِلَلِ الوُقوفِ" بِقَولِهِ: "﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾[3]؛ لِئَلّا يَصيرَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ مَقولَ الكُفّارِ الذي يُحْزِنُ النَّبيَّ ﷺ"[4].

ولابْنِ عاشورٍ رَأْيٌ مُخالِفٌ لِهَذا، فقد رَأى أَنَّ الوَقفَ لا يَلزَمُ عِندَ ﴿قَوْلُهُمْ﴾، وإنَّما يَحْسُنُ، فَقالَ: "والوَقفُ عِندَ قَولِهِ: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ مَعَ الابتِداءِ بِقَولِهِ: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ﴾ أَحسَنُ مِنَ الوَصلِ؛ لأَنَّهُ أَوضَحُ لِلمَعنى، ولَيسَ بِمُتَعَيَّنٍ؛ إذ لا يَخْطُرُ بِبالِ سامِعٍ أَنَّهُم يَقولونَ: "إنَّ اللّهَ يَعلَمُ ما يُسِرّونَ وما يُعلِنونَ"، ولَو قالوهُ؛ لَما كانَ مِمّا يحزنُ النَّبيَّ ﷺ، فَكَيفَ يَنهى عَنِ الحُزنِ مِنهُ؟"[5].

ولكنَّ الوقف أولى إن لم يكن متعيِّنًا، وعدم خطور المعنى الباطلِ ببالِ أحدٍ؛ لا يُسوِّغ الوقفَ الموهِمَ.

بلاغةُ الاستئناف البيانيِّ:

تفويضُ الأمور إلى الله تعالى جالبُ الرّاحة والطُّمأنينة

فُصِلَ قولُ اللّه تعالى: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ على طريق

(1) ابن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء: 2/ 856، والداني، المكتفى، ص: 175، والأشموني، منار الهدى: 1/ 333.
(2) النحاس، القطع والائتناف، ص: 584.
(3) هذا رمز للوقف اللازم.
(4) السجاوندي، علل الوقوف: 3/ 851.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 73.

الاستئنافِ البيانيِّ[1]؛ وذلك لكونِهِ جوابًا عن سؤالٍ نشأ من الجملةِ الأولى المشتملةِ على النَّهي عن الحزن، فكأنَّ سائلًا سأل: ما سببُ نهي رسول الله ﷺ عن أن يحزنَ من قول الكافرين؟ والحالُ أنَّ قولَهم ممّا يُحزِنُ؟ فأجيب: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[2]؛ لتفيدَ (إنَّ) الَّتي صُدِّرت بها الجملة ربطَ الكلامِ بما سبقه، وبيانَ سببِ النَّهي عن الحزن من قول الكافرين، أو يكون جوابًا لسؤالٍ تقديره: يا ربِّ، فإذا كان حالُهم معك ومع نبيِّك ذلك؛ فماذا تصنعُ بِهم؟ فجاء الجوابُ: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، أي: نُجازيهم بجميع جناياتِهم[3].

وذهب ابنُ عاشورٍ إلى أنَّ الكلامَ ليس على طريق الاستئنافِ البيانيِّ، و(إنَّ) مُغْنِيَةٌ عَن فاءِ التَّسَبُّبِ لأجلِ التَّرتُّب[4].

دلالةُ (إنَّ) في قوله: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ﴾:

(إنَّ) في قولِ اللّه تعالى: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ تفيدُ تأكيدَ مضمونِ الجملة، وفي ذلك إيذانٌ بأنَّ الكافرين يعتقدون أنَّ اللّه تعالى لا يعلم ما يسرّون، وما يعلنون، أو أنَّهم بسبب قولِهم الذي يقولونه، أُقيموا مُقام مَن يعتقد أنَّ اللّه تعالى لا يعلم ما يسرّون، وما يعلنون، ففيه تنبيهٌ إلى أنَّ مَن يعتقد أنَّ اللّه يعلم ما يسرُّ، وما يعلن يَنْبَغي ألّا يُحزِنَ رسولَ اللّه ﷺ بقولٍ أو فعلٍ.

المؤمنُ لا يُحْزِنُ رسولَ الله ﷺ بقولٍ أو فعلٍ يكرهُه

نكتةُ التَّعبيرِ بنون العظمة:

عُبِّرَ بـ (نا) الدّالَّةِ على العظمة في ﴿إِنَّا﴾، وبالفاعِلِ المُسْتَتر - (نَحْنُ) - في قولِه: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ﴾؛ للإشعار بأنَّ علمَهُ تعالى بما يسرّون، وما يعلنون هو مِن مقتضى عظمتِه وألوهيَّتِه ﷻ، وأنَّه لا أحدَ يعلم السِّرَّ والعلنَ سوى اللّه الملك الواحد الأحد.

لا أحـدَ يعلم السِّـرَّ والعلـنَ سوى الله تعالى

(1) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 4/ 274، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 179.
(2) ابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 193.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 51.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 72.

بلاغةُ الكنايةِ:

علمُ اللهِ تعالى بما يسرُّ الناس وما يعلنون يقتضي مُجازاتَهُم

في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ كناية عن المؤاخذةِ بأقوالِهم التي تُحْزِنُ رسولَ الله ﷺ، وجزائِهم عليها، فإنَّ العلمَ بما ذُكِرَ مستلزمٌ للمجازاةِ قطعًا، والمعنى: إنّا نجازيهم بجميعِ جناياتهم الخافيةِ والباديةِ، فإنَّنا مُحْصون عليهم أقوالَهم وما تُسِرُّه أنفسُهم ممّا لا يَجْهَرونَ به، فنُؤاخِذُهُم بذلك كُلِّه بما يُكافئه من عقابِهم ونَصْرِك عليهم[1]، وفي الخبر تهديدٌ لكلِّ من يقول قولًا يُشْرِك فيه باللّه تعالى، أو يطعَنُ في رسولِه ﷺ يسرُّ بذلك، أو يُعْلِنُ.

دلالةُ مجيءِ المسنَدِ جملة فعليَّة:

تأكيدُ عمومِ علم الله تعالى وتحقيقُه

(نا) من ﴿إِنَّا﴾ مسند إليه - وهو ضمير دالٌّ على العظمة - وقد قُدِّمَ على المسند، وهوَ جملةٌ فعليَّةٌ في قوله: ﴿نَعْلَمُ﴾؛ ليكونَ تقديمُ المسند إليه أدخلَ في تثبيتِ المعنى وأمنعَ للشكِّ والإنكار، وفي مجيء المسند جملة فعليَّةً تقوية للحكم وتحقيقِه؛ لما فيه من تكرار النِّسبة مرَّتين، إحداهما: نسبةُ العلم إلى ضميرِ العظمَةِ (نا) من ﴿إِنَّا﴾، والآخر: نسبةُ العِلْمِ إلى الضَّمير المستتر وُجوبًا في الفِعْلِ.

سرُّ تقديمِ عِلْمِ الله تعالى بالسِّرِّ على علمِهِ بالعَلَنِ:

ما مِنْ شيءٍ يُعلَنُ إلّا وهو أو مباديهِ مُضْمَرٌ في القلبِ

قُدِّمَ علمُ اللّه تعالى بالسِّرِّ على علمِه بالعلن، في قوله: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾؛ ليكون أبلغَ في بيان مجازاتِهم، فإنَّ مرتبةَ السِّرِّ متقدِّمة على مرتبةِ العلن؛ إذ ما من شيءٍ يُعلَنُ إلّا وهو أو مباديه مضمَرٌ في القلب، ولأنَّ العلمَ بما يسرّون أشدُّ دلالةً على إحاطة علم اللّه تعالى بجميع أحوالِهم، وذُكِر بعدَه الإعلانُ؛ لأنَّه محلُّ الخبر، فإنَّهم كانوا يُظْهِرون قبيحَ قولِهم، ويُصَرِّحون به، كما أنَّ في ذِكْرِ الإعلان دلالةً على استيعابِ علم اللّه تعالى لجميع

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 179، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 193.

المعلومات بجزئيّاتِها وكلّياتِها[1]، وفي التَّقديم إيماءٌ إلى أنَّ ما يُسِرّون في ضمائِرهم من التَّكذيب وغيرِه أشدُّ وأقسى ممّا يُعْلِنونَ بأَلْسِنَتِهم مِنَ الأذى وغيرِه.

دلالةُ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ وصلتِه:

سَعَةُ علمِ الله تعالى بالسِّرِّ والعلَنِ

﴿مَا﴾ في قولِه: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ اسمٌ موصول، وعُبِّرَ به معَ صلتِه؛ لِما تفيده ﴿مَا﴾ من العموم، فيكون المعنى: أنَّ اللَّهَ ﷻ يعلم جميعَ ما يُسرُّه العبادُ وجميعَ ما يُعْلِنونَهُ، وفيه زيادَةُ التَّقرير بعلمِ اللَّه تعالى بجميعِ شُؤونِهم وأحوالِهم، ولمّا كانَ العائد إلى الموصول محذوفًا؛ أفاد المبالغة في عموم ما يسرّون، وما يُعْلِنون، وأصلُ الكلامِ: إنّا نعلمُ ما يسرّونه، وما يعلنونه[2].

فائدةُ تَكْرار ﴿مَا﴾:

بيانُ تَعَلُّقِ علمِ اللهِ تعالى بِما يُسِرُّه العبادُ وما يُعْلِنونَهُ

كُرِّرَ الاسمُ الموصول في قولِه: ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾؛ للإشعار بأنَّ الذي يسرّونَهُ مِنَ الإشراك والتَّكذيب نوعٌ آخرُ غيرُ الذي يُعْلِنون مِن قبيحِ القول والفعلِ، ففيه مبالغةٌ في بيان تنوُّع قبائح سريرتِهم وعلانيَّتهم، وفيه إيذانٌ بأنَّ الذي في السِّرِّ وإن اختلفَ عن الذي في العلنِ، فإنَّ عِلْمَ اللَّه تعالى متعلِّقٌ به، فلا يغيبُ عن علمِهِ شيءٌ.

فائدَةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المضارع:

جاء التَّعبيرُ بالفعل المضارع في قوله: ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾؛ للإشعار بتجدُّد ما يسرّونه، وتجدُّد ما يعلنونه، وأنَّ علمَه تعالى متعلِّقٌ بكلِّ ما يجدِّدونه في السِّرِّ والعلنِ.

بديعُ المطابقةِ في الآية:

علمُ اللهِ تَعالى بالسِّرِّ كعلمِه بالجهرِ

في قوله: ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ طباقُ إيجابٍ بين الفعلين ﴿يُسِرُّونَ﴾ و﴿يُعْلِنُونَ﴾، وإيرادُ الطِّباق في الآيةِ فيه دلالةٌ على

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 179، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 72.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 51.

استيعاب علم الله تعالى لجميع شؤونِهم، فإنَّه لمّا كان علمُه تعالى بالسرِّ مُنبِئًا عن علمِه بالعلن بطريق الأولى؛ كان ذكر قوله: ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ على طريق المطابقة إيذانًا بأنَّ علمَه تعالى بالسِّرِّ كعلمِه بالجهرِ سواء بسواءٍ[1]، وهذا الوجهُ يفيدُ في سرِّ تقديم السِّرِّ على العلن كذلك، كما أنَّ في الطِّباق تنبيهًا إلى وجوب أن يكون السِّرُّ موافقًا للعلن؛ لاستوائِهما في علمِ الله تعالى.

بلاغةُ التَّذييل:

تقريرُ المَعْنى الخاصِّ بِحُكْمٍ عامٍّ كُلِّيٍّ

لمّا جاء قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ استئنافًا في مقام التَّعليلِ لنَهْيِ رسول الله ﷺ عن أن يَحْزَنَ بسبب قولِهم، وكانت الجملةُ على معنى العمومِ في علم الله تعالى بِما يسرّون، وما يعلنون؛ كانت الجملة بمنزلةِ التَّذييل؛ لتكونَ على معنى العُمومِ والكلّيَّة.

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 193.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48 : المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-07-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»